

مظاهر امتداد سلطة الأيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري قبيلة الحنانشة نموذجا (1637-1830م)

أ. ورتي جمال

جامعة محمد الشريف مساعديّة - سوق أهراس -

مقدمة :

ارتبط الوجود العثماني في الشرق الجزائري بعملية تحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الإسباني ، ويمكن أن نعتبر فترة القرن السادس عشر الميلادي كانت فترة تحرير لبعض لمدن الساحلية ومنها بجاية سنة 1533 ، وبعد ذلك بدأ الامتداد التدريجي للسلطة المركزية العثمانية في مدن وأرياف الشرق الجزائري ، وسنحاول من خلال هذه المداخلة إمطة اللثام على مظاهر امتداد سلطة الأيالة الجزائرية على قبيلة الحنانشة أكبر القبائل في بايلك قسنطينة .

1- أصول قبيلة الحنانشة : إن الدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ قبيلة الحنانشة داخل الجزائر قليلة¹ وأهمها على الإطلاق رسالة الأستاذة جميلة معاشي التي تناولت تاريخ القبيلة بالتفصيل ، انطلاقا مما كتبه المترجم الفرنسي " شارل فيرو "² (Fereau Charles) وكذا المؤرخ ابن خلدون و المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف .

فدراسة المترجم شارل فيروالتي نشرت بالمجلة الإفريقية في عددها رقم 18 سنة 1874 اعتمدت على الرواية الشفوية وكذا على ما كتبه المؤرخ ابن خلدون أما كبار المسنين الآن فيذكرون المنافسة على مشيخة القبيلة بين الشيخين "الرزقي " و " الحسنوي "³ وقد تعددت الروايات وكذا الأساطير المؤسسة لهذه القبيلة وأمام تعددها نستشف ثلاث احتمالات لأصولها:

الأول : أنها أسرة بربرية⁴ من قبيلة هواره.

الثاني : أنها أسرة من عرب بني سليم⁵ .

الثالث : أنها تنتسب إلى الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب⁶ .

1-1 الاحتمال الأول : وقد تحدث عنه ابن خلدونفي معرض حديثه عن قبيلة هوارهالبربرية التي امتد نفوذها من طرابلس إلىطنجة إذ يوجد الآن بالقرب من مدينةصبراتة الليبية مكان

يعرف باسم " دحمان "، ثم انتقلت الأسرة إلى إفريقية معالفاتحين المسلمين واستقرت بالمنطقة الغربية منها إذ يشير أبو خلدون إلى قائد قبيلة هواره " حناش ابن بعة⁷ " الذي لعب دورا كبيرا في محاربة ابن غانية إلى جانب الحفصيين في موضع آخر إلى مقتل أحد قادة قبيلة هواره من طرف الحفصيين عندما مدو نفوذهم على الأوراس الشرقي سنة 636 هـ /1238 م وهو أبو الطيب بعة بن حناش⁸ ثم يذكر في موضع آخر اسم قائد قبيلة هواره في عهده فيقول : "...ورئاستهم لهذا العهد في ولد يفرن ثم لأولاد زيتون بن محمد بن يفرن ولأولاد دحمان بن فلان بعدهم ، وكانت الرئاسة فيهم لسارية من بطون بني ونيفن ومواطنهم بسائط مرماجنة وتبسة وما أيهما...⁹" ، كما أن بعض الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ القبيلة أكدت هذه الحقيقة ومنها دراسة الأستاذ عثمان الكعاك إذ انفصلت عنها بعد ذلك البطون التالية :

- 1- عرش النمامشة وكان رؤساؤه ينتجعون الأنجاد بجنوب تبسة .
 - 2- الحركة وكانت شاغلة لناحية عين البيضاء وكان رؤساؤها من عائلة بن عيسى .
 - 3- وتكونت بطون أخرى ما بين عين البيضاء ومدينة قالمة حول أسرة بني مراد¹⁰ .
- أما الامتداد الجغرافي لقبيلة هواره البربرية بمختلف فروعها (وشتاتة بني شارن ، بني ونيفن ...) فقد كان المنطقة التلية من تيفاش إلى الهوارية¹¹ ، وقد يكون احتمال الانتساب إلى قبيلة هواره صحيحا لأن التطورات الساسية التي مرت بها قبيلة الحنانشة تماثل التطورات التي مرت بها القبائل النوميديية فالصراعات الداخلية التي مزقت نوميديا هي التي جعلتها (أي نوميديا) تخسر المواجهة داخليا وخارجيا¹² وهي نفس الأسباب التي مزقت قبيلة الحنانشة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

1- 2 الاحتمال الثاني: وهو النسبة إلى عرب بني سليم الذين قدموا من الحجاز زمن الخليفة الفاطمي المستنصر عام 441 هـ / 1049-1050 م وعبروا النيل ووصلوا إلى إفريقية، فقد كانت القبائل الهلالية أخلاطا من القبائل العربية من بينهم بني سليم أقوى عناصر الهلالية وأعرقها وهلال الذي غلب اسمه على مجموع هذه القبائل والبطون فيما بعد ، وكانوا من العدنانيين أما زغبة ورياح¹³ اللتين انضمتا إليهم فهما قبيلتان من العرب كانتا تقيمان على حدود مصر في إقليم برقة وفي خلافة المستنصر بالله الفاطمي (427-487 هـ / 1035-1094 م) تدهورت العلاقات بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة الزيرية في

تونس إذ أعلن الزيريون تبعيتهم للخلافة العباسية ببغداد سنة 443 هـ / 1051 م¹⁴ ، وفي هذه الفترة انتقلت هذه القبائل إلى بلاد برقة وطرابلس وإفريقيا حيث استقرت فيها قبائل زغبة ورياح ، كما استقرت بنوهلال وسليم في منطقة تونس وما يليها غربا¹⁵ ، وقد توطنت بعض الفروع منها وخاصة بطون : الكعوب ، علاق ومرداس في المنطقة الواقعة بين قابس ونفطة وعنابة وهو الرأي الذي ذهب إليه شارل فيرو أيضا¹⁶ وقد يكون هذا الاحتمال صحيحا أيضا إذ يوجد لحد اليوم فرقة من قبيلة أولاد مسعود يطلق عليها اسم " أولاد بوعلاق" ، كما أن إحدى القرى الواقعة شمال منطقة سوق أهراس تحمل اسم مرداس ، وهو ما ذهب إليه أيضا أحد الباحثين المحدثين من أنه في أواسط القرن الخامس الهجري اندمجت فروع هوارة مع أعراب بني هلال وبني سليم وبني رياح ، ومن هؤلاء مرداس بن رياح¹⁷ الذي حظ أتباعه الرحال بباجة ، أما بطن الأثبج وفرعهم الرئيسي دريد فقد انتشروا بجهة الكاف والتحق بهم بعض الذواودة الذي كان مركزهم قسنطينة ، في حين استأثر الحنانشة بغربي الكاف وكان شيخهم حوالي 1535 عبد الله بن سودة من بني شنوف وكانت إمرته على مواطن أولاد صولة¹⁸ .

1- 3 الاحتمال الثالث : و مصدره الرواية الشفوية من كبار المسنين هو الذي تمسكت به أسرة أحرار الحنانشة وهو النسبة إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حيث وضع شيخ الأسرة شجرة نسب تعيدهم إلى حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهي الشجرة التي ذكرها شارل فيرو¹⁹ .

لقد تضمنت رواية المترجم فيرو تناقضا إذ أنه يذكر حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وحنش بن عبد الله الصنعاني ، فالنسبة إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يذكرها العدوانى أيضا في معرض حديثه عن الحنانشة في بداية القرن 10 هـ / 16 م إذ يذكر أن شيخ الحنانشة وقتها كان عثمان بن علي بن أبي بكر بن محمد بن سعد بن جابر بن إبراهيم بن عمر بن فاره بن محمد بن جابر بن نصر الصغير بن عمر ابن الخطاب²⁰ ، كما يذكر في موضع آخر غانم ابن المنذر الحناشي الذي ينتمي إلى أصول بني حفص الذين ينحدرون من سلالة عمر بن الخطاب .

أما حنش بن عبد الله الصنعاني فهو ليس حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فهو حنش بن عبد الله بن عمرو حنظلة السبئي الصنعاني ، وكان تابعيا شجاعا ، وكان من أصحاب

علي وشهد معه الوقائع فلما قتل علي انتقل إلى مصر وأقام بها وغزا المغرب مع ربيعة بن ثابت والأندلس مع موسى بن نصير، وهو أول من ولي عشور إفريقية وابتنى جامع سرقسطة في الأندلس وأسس جامع قرطبة وتوفي بسرقسطة بالأندلس سنة 100هـ / 718م²¹ ، ومن الممكن أن يكون دخوله إفريقية لأول مرة كان سنة 46هـ / 666م مع معاوية بن حديج ، أما عبد الله بن عمر بن الخطاب فقد دخل إفريقية مرتين الأولى: في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ في خلافة عثمان بن عفان²² ، والثانية : مع معاوية بن حديج وتوفي سنة 73هـ²³ ، فمن المحتمل أن يكون حنش بن عبد الله الصنعاني قد استقر بالمنطقة لبعض الوقت إذ توجد قلعة صنعان²⁴ على الحدود الجزائرية- التونسية التي أكد كبارالمسنين للباحث فيرو أنها مقرهم الرئيسي .

هذا وقد تفردت الدراسة التي أعدها رئيس المستشفى العسكري الفرنسي بسوق أهراس الطبيب " بول روكات " بأسطورة مؤسسة غريبة إذ يذكر أن امرأة التجأت بعشيقها إلى كهف في ضواحي تبسة اسمه " كاف الحنش " وأنجبت طفلا حمل اسم بن حناش نسبة إلى المكان الذي ولد فيه²⁵ ، ولا نعتقد أن ذلك صحيحا لأن مصادر التاريخ الإسلامي وكذا الدراسات المتأخرة لا تذكر هذه الحادثة.

لكن انتشار اللغة العربية الواسع اليوم في المنطقة نتيجة استقرار العرب المسلمين في إفريقية في القرن الأول الهجري ببناء مدينة القيروان ، ثم الزحف الهلالي على بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري ، يجعل فرضية أن تكون القبيلة من أصول بربرية مندمجة مع أعراب بني هلال ممكنا .

2- نظام قبيلة الحنانشة :

لقد استطاعتقبيلةالحنانشة أن تنزعم ولفترة طويلة المناطق الحدودية بالشرق الجزائري ، وقد بلغت أوج قوتها في القرن 6 هـ / 16م ، إذ امتد نفوذها من وراء الحدود التونسية شرقا حتى شرق قسنطينة غربا ومن القالة وعنابة شمالا إلى الزاب ومنطقة نفطة بتونس جنوبا ، وشكلت وحدة سياسية متماسكة ضد أي خطر خارجي ، فحكمها متوارث في أسرة واحدة كأى مملكة وراثية ويطلق على شيخها لقب السلطان ، ولا بد أن يكون متخرجا من جامع الزيتونة ومحاطا بحراسة شخصية على غرار نوبة البايات في تونس ، وله هيئة استشارية يطلق عليها ديوان القايد ، ولا يتم الإعلان عن الحرب دون موافقة هذا الديوان الذي يُعد

بمثابة برلمان للقبيلة ، وزاد من تفوقه تحالفه مع الشايبية²⁶ في تونس الذين فروا من القيروان بعد حروبهم مع الحفصيين وكونوا حلفا ضم معظم القبائل الشرقية للجزائر فكانوا بذلك شبه إمارة مستقلة استطاعت أن تتنازع العثمانيين والحفصيين ، ففي سنة 1535م كانت قبيلة الحنانشة ممتدة على مجال جغرافي كبير وعليها شيخان : الأول : مرداس بن نصر بن أحمد بناحية تبسة ويستطيع أن يجند 1000 فارس ، والثاني : عبد الله بن صولة مجاور للأول ويستطيع أن يجند 500 فارس²⁷ .

أما عن الدور الاقتصادي فرغم سعة أراضيها بقي الطابع البدوي غالبا عليها ، إذ لا تستغل إلا جزءا ضئيلا من أراضيها ، إذ يُعد سهل تيفاش الممون الرئيسي لها بالحبوب أما البقية فتتخذ كمراعي لمواشيها ، إذ كان أهالي القبيلة شبه رحل²⁸ ، وكانت أسرة أحرار الحنانشة تقوم برحلتها الشتاء والصيف بين السهول والتلال سعيا وراء المراعي لقطعانها ، وكان يقودها شيوخها في تنقلها ويصلون حتى سهول قسنطينة وعنابة وقالمة ، ومنها يعودون على قلعة صنعان ملجأ الأسرة زمن الحروب ، إلى جانب تربية الماشية اشتهر العرش أيضا بتربية الخيول ، وكان شيخ الأسرة يعسكر بزمالته كل صيف إما في كاف ثلاث بجبل المسيد أو بجبل حناش وهي المرتفعات العليا للمنطقة ، أما في فصل الشتاء فينتقل مع زمالته إلى الجنوب أو يضرب خيامه على ضفاف وادي مجردة حيث يقضي كامل فصل الشتاء²⁹ .

3- علاقة قبيلة الحنانشة بالسلطة المركزية في الجزائر :

كان إقليم بايلك قسنطينة مقسما على أربع مناطق تستمد أهميتها من موقعها الجغرافي بالنسبة للجزائر الوسطى وهي :

الشرق : ويضم كل الأراضي الممتدة من قسنطينة إلى الحدود التونسية وأهم القبائل القاطنة به الحنانشة ، الشيايبنة والنمامشة و أولاد يحي بن طالب ، وكان من أصعب مناطق الإقليم فكثيرا ما اضطرت السلطة المركزية في قسنطينة من اجل جباية الضرائب إلى استعمال القوة³⁰ .

الغرب : ويضم مل الأراضي الممتدة من قسنطينة إلى السلسلة الجبلية للبيبان ويجد بهذا الإقليم قبائل : التلاغمة ، أولاد عبد النور ، أولاد عامر الغرابية ، الحشم ، أولاد خلوف .

الشمال : ويضم الجبال المحاذية لساحل البحر الأبيض المتوسط بعمق 60 إلى 72 كلم ويمتد من عنابة حتى بجاية ويطلق على هذا القسم اسم الساحل وأهم قبائله :زواغة ، فرجيوة ، بني يعلى وهي المنطقة التي يُطلق عليها اليوم القبائل الصغرى .
الجنوب : وكان به قبائل : الزمول³¹ ، السفنية ، الحراكطة ، وجبال الأوراس ، بلاد بلزمة ، أولاد سلام ، أولاد سلطان ، أولاد سحنون³² .

أما التقسيمات الإدارية للبايلك فقد كان يشتمل على نواحي كبيرة ، على رأس كل منها قائد يتصرف في شؤونها ويقر العدالة بها ويستخلص الضرائب من سكانها ، وكان حكام هذه النواحي إما قيادا يخضعون لأوامر شيوخ العشائر ، أو من الشيوخ الكبار مثل شيخ العرب ، أو من كبار موظفي البايلك المقيمين بقسنطينة ، وكانوا يُختارون لهذه المناصب حسب رغبة الباي ، ويدفعون مقابلها رسوم التولية التي كانت تدفع حسب أهمية الإقليم ، ومما يلاحظ هو أن كل سكان إقليم قسنطينة لم يكونوا كلهم خاضعين لسلطة الباي فمثلا كان أهالي ساحل بجاية والباور لا يدفعون الضرائب المترتبة عليهم³³ وحتى الهدايا والعوائد فلا تُؤخذ منهم إلا بالإرغام والقسر³⁴ .

نظرا لقوة قبيلة الحنانشة وتأثيره في المنطقة خاصة وأنه كان يشغل مجالا جغرافيا واسعا نسبيا كما أن وجوده على الحدود الجزائرية- التونسية ، جعل تأثيره على العلاقة بين الجزائر وتونس كبيرة ، كما كان ذلك سببا في لجوء العثمانيين إلى تجنب الاصطدام مع هذا العرش مباشرة نظرا لما يمكن أن يشكل ذلك من خطر عليهم خاصة وأن الحنانشة متعودون على الحرب ولذلك تم الاتفاق على أن يتم تسيير شؤون البايلك بين ثلاثة أطراف وهي :

1- مشيخة شيخ العرب وعادت إلى الذواودة وكانت تمتد من جبال الزاب إلى شط الحضنة .

2- الحنانشة وكانت سلطتهم تمتد من تبسة إلى سوق أهراس وقالمة .

3- الأتراك ويتولون رئاسة الإقليم .

وعلى هذا الأساس كان الباي إذا جاءته خلة الولاية من الجزائر العاصمة يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب ، وبعده إلى شيخ الحنانشة ، ويعرف وظيف الحنانشة بوظيف القفطان لأن ولايتهما كولاية الباي³⁵ .

، لذلك كان لابد من وجود وسيلة أخرى لتمزيق وحدته السياسية ونجح في ذلك العثمانيون إلى حد بعيد وذلك بوسيلتين :

3- 1 إعادة هيكلة القبيلة :

إن تتبع العلاقة بين قبيلة الحنانشة والسلطة المركزية في الجزائر حتى سنة 1830 يعطينا فكرة واضحة عن قوة هذه القبيلة ومدى نفوذها ، إذ استطاع حسب بعض الدراسات أن يؤثر على السياسة الخارجية للجزائر³⁶ ، فحسب الشيخ أحمد بن المبارك احد أعلام قسنطينة فقد وقع توافق على توزيع السلطة في الشرق الجزائري فقد كانت إدارة الإقليم تتم بين ثلاثة أطراف وهي شيخ العرب ، شيخ الحنانشة ، حاكم قسنطينة إذ كان باي قسنطينة إذا أنته خلة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها على شيخ العرب وبعده شيخ الحنانشة³⁷ ، كان ذلك جزءا من السياسة العثمانية الرامية إلى تأمين سلطتهم بالجزائر ، حتى لا تصطدم القوات العثمانية القليلة العدد والجاهلة بأغوار البلاد مع القوى المحلية ولذلك عملت على كسب ولائها³⁸ وخاصة قبيلة الحنانشة حتى النصف الأول من القرن السابع عشر 1047هـ/1637 م ، ولما فشل العثمانيون في القضاء عليها بالقوة العسكرية لجأوا إلى بث الشقاق بين ، فلما كانت مسألة الحكم هي جوهر الخلاف بين الأسر فقد التجأ العثمانيون إلى هذا الأسلوب ببث الشقاق بين شيوخها ، فبعد وفاة الشيخ خالد بن نصر تدخل العثمانيون في شؤون الحكم داخل الأسرة وحتى يتمكنوا من إحداث فتنة بين شيوخها فقد منح العثمانيون المشيخة إلى الابن الأصغر منصر بدل الابن الأكبر نصر ، وذلك على غير عادة الحكم داخل الأسرة وهو ما أحدث صراع داخل الأسرة وكان مدمرا امتد إلى الاحتلال الفرنسي للمنطقة سنة 1843 .

3- 2 استغلال الظروف السياسية الخارجية :

لقد لعبت قبيلة الحنانشة دورا كبيرا في الصراع بين تونس والجزائر إذ شكلت الأزمات السياسية التي مرت بها الأسرة المرادية دورا كبيرا في تمزيق قبيلة الحنانشة وإضعاف وحدتها السياسية ، فعندما رفض بوعزيز بن نصر زعيم فرع نصر مصاهرة حسن باي تونس حرض هذا الأخير باي قسنطينة على نزع المشيخة منه ومنحها لفرع منصر ، الأمر الذي أدى ببوعزيز بن نصر إلى التحول إلى مناصرة خصم حسن باي وهو علي باشا متحدا بذلك مع فرع منصر الذين كانوا مناصرين لعلي باي ، كما انضم إليهم أولاد سيدي يحي بن طالب

شمال تبسة و بنو يعقوب وبذلك تكونت جبهة متحدة ضد باي تونس وحليفه باي قسنطينة ، الذين نظما حملة مشتركة على شيخ الحنانشة سنة 1136 هـ / 1724 م والتي انتهت بتشريد الشيخ بوعزيز وأسرتة وقتل ابنه طراد في معركة فحج مروا وقد ارتبطت هذه المعركة ارتباطا وثيقا بابنة بوعزيز علجية ، إذ أنه وبعد أن قتل أخوها واستحوذ القوات المتحالفة على محصول عرش الحنانشة وتراجع الحنانشة صاحت في قومها " يا أبناء نصر إنكم رضعتم حليبيا واحدا فاثبتوا"³⁹ فكان أن تشجع الحنانشة من جديد واستطاعوا أن يحولوا الهزيمة إلى نصر، إذ كروا على الأتراك وباي تونس وتمكنوا من استرجاع القسم الأكبر من محصولهم الذي غنمته قوات باي قسنطينة وقوات باي تونس ، فكان موقفا مماثلا لموقف المناضلة الفرنسية "جان دارك"⁴⁰ (Jeanne D'arc) " التي ألهمت حماس الفرنسيين لقتال الإنجليز سنة 1429 .

وبالرغم من المساندة الكبير التي قدمها بوعزيز بن نصر لعلي الباي فقد كان حزاؤه أن اعدم هو و وزعماء فرع منصر سلطان وأحمد الصغير بن منصر ، فكان هذا العمل يماثل تصرف الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مع أبي مسلم الخراساني ، وبمقتل شيوخ الأسرة دخلت الأسرة طورا جديدا من التفكك إلى أن تم الاتفاق بين أسرة أحرار الحنانشة على تعيين سديرة بن طراد بن بوعزيز بن نصر شيخا على الحنانشة ، ومرة أخرى تدخل باي تونس ونزع المشيخة منه ومنحها لأبن عمه رجب بن أحمد الصغير الذي أعمته مغريات المنصب وما يتبعه من امتيازات وأنسته مقتل والده على يد نفس الباي ، فكان قبوله للمشيخة قد أحدث شرخا في وحدة الأسرة فعادت الحرب من جديد بين الفرعين ولم توقفها إلا توتر العلاقات بين الجزائر وتونس ، فعندما حدث نزاع بين علي باي باي تونس وباي قسنطينة حسين بوحنك استعان باي قسنطينة بالشيخ سديرة بن طراد الذي كان يتمنى الانتقام لجدته بوعزيز من قاتله علي باي والانتقام لنفسه من منافسه رجب ، أعاده حسين بوحنك إلى مشيخة عرش الحنانشة مقابل التحالف معه للقضاء على علي باشا ، ولم يكن تحالف الشيخ سديرة بن طراد نابعا من قناعته بل كان مجرد كسب للوقت فقط ، وكان باي قسنطينة يدرك ذلك جيدا إلا أنه أرجأ القضاء عليه إلى ما بعد القضاء على علي باي .

وقد اشترك الشيخ سديرة بن طراد بقواته إلى جانب باي قسنطينة وهزمت القوات التونسية ، وقبض على يونس بن علي باشا سنة 1165هـ / 1752 م وسلمه إلى باي قسنطينة

الذي سجنه مدة عشر سنوات ثم بعد ذلك نفذ باي قسنطينة الجزء الثاني من خطته إذ اغتال الشيخ سديرة بالسّم ، وعين في مكانه عمه إبراهيم بن بوعزيز ، ونفس المصير لاقاه الشيخ رجب من فرع منصر إذ قتله الباي وولي مكانه محمد بن سلطان من نفس الفرع ، وبذلك اتسع الخلاف مجددا بين بين أسرة أحرار الحنانشة وبايات قسنطينة ، ولكن ذلك لم يمنع إبراهيم بن بوعزيز من المشاركة في الحملة التي قادها الباي حسن زرق عينه باي قسنطينة التي عاودها على الباي التونسي علي باشا ، وقد تمكن خلالها إبراهيم من الانتقام لوالده بوعزيز ، وقد قُتل علي باي في هذه الحملة سنة 1169 هـ / 1759 م وقتل معه ابنه محمد ، وقد عاصر ابراهيم بن بوعزيز أقوى بايات قسنطينة صالح باي الذي استطاع أن يوجه شؤون أسرة احرار الحنانشة ، فقد استعمله لغزو قرية شارن التابعة لتونس سنة 1186 هـ / 1773 م ، وعند احتجاج باي تونس على ذلك وجد صالح باي ذريعة للتدخل ، كما عزل إبراهيم بن بوعزيز من مشيخة قبيلة الحنانشة وولى مكانه ابنه بوحفص ، ونجح باي قسنطينة في تأليب قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب على إبراهيم بن بوعزيز وقبائل الأوراس الشرقي وأصهار ابنه من عرش النمامشة ، وهكذا تمكن باي قسنطينة وبخطة بارعة من التخلص من شيخ الحنانشة السابق إبراهيم بن بوعزيز ، واضطره إلى الفرار ، لكن بعض المصادر أعزت سبب فرار هذا الأخير إلى أسباب أخرى غير التخلص منه ، من ذلك ما ذكره الورتلاني وهو ان ابراهيم بن بوعزيز كان يتناول على المسلمين ويتمرد على الأحكام الشرعية وانه كان يتزوج أكثر من أربع نساء " ...وقد سمعت انه بلغ إثني عشر امرأة عدو نفسه فلم وصلناه خاف منه الركب فخرج إلينا مع بعض أصحابه ، فخرج إلينا ونحن السابقون فسلم علينا ، وطلبنا في الدعاء فدعونا له بالهداية والرجوع إلى بلده وانه أمرنا بالنزول عنده فامتنعنا من ذلك لأنه أول النهار ...⁴¹ " ، وقد بقي الشيخ بوحفص خاضعا لبايات قسنطينة حتى وفاته سنة سنة 1209 هـ / 1795 م ، فخلفه أخوه عثمان الذي رافق الباي مصطفى الوزناجي إلى الجزائر العاصمة لحمل الدنوش ، إلا أن داي الجزائر قام بسجنه مع أتباعه بحجة الانفصال عن الحكم المركزي ، ولم يطلق سراحهم إلا بعد دفع مبالغ مالية هامة ، وعند عودته وجد أن الباي ولى مكانه ابن عمه الميوهوب بن سلطان بن منصر ، فقام بقتله بتحريض من كاتبه منصور بن الرزقي ليعود إلى منصبه من جديد ، وقد أدخل هذا العمل الذي أقدم عليه عثمان بن إبراهيم قبيلة الحنانشة في صراع مع قبيلة أولاد سيدي يحي بن

طالب أتباع الشيخ الميهوب المقتول وذلك سنة 1210 هـ / 1796 م ، ولم يجد باي قسنطينة بدا من قتل الكاتب منصور بن الرزقي كوسيلة لإخماد هذه الثورة سنة 1796 م⁴²

وكخلاصة على علاقة قبيلة الحنانشة بالسلطة المركزية فإن وضع الأسرة مال إلى الضعف منذ سنة 1795 فقد عرفت الفترة الممتدة من سنة 1771 على سنة 1805 تعاقب عدد من الشيوخ على العرش وازداد الوضع سوءا بعد السنة الأخيرة فقد ذكرت الأستاذة معاشي أن الفترة الممتدة بين سنتي (1806 - 1826 تعاقب فيها سبعة شيوخ ، وفي وقت مضى كانت هذه الفترة يحكم فيها شيخ واحد أيام قوة العرش منها فترة الشيخ خالد بن نصر (1047 - 1063 هـ / 1638 - 1653 م) وكذا بوعزيز بن نصر (1132 - 1151 هـ / 1719 - 1739 م⁴³) .

لكن كان تأثير الشيخ الرزقي بن منصور كبيرا جدا خاصة في فترة حكم الحاج احمد باي فقد استطاع أن يوطد علاقة وطيدة هذا الأخير آخر بايات قسنطينة ، ولعل هذا ما ولد منافسة قوية فيما بعد بين كاتب آخر بايات الأسرة وهو: الحاج مبارك وابني أخيه الحسناوي والبخاري والشيخ الرزقي الذي ولي مشيخة العرش من طرف الحاج احمد باي وهي الرواية التي بقيت متداولة إلى اليوم.

ففي الوقت الذي تولى فيه الحاج احمد باي حكم قسنطينة سنة 1826 ، أعاد الحنانشة تنظيم صفوفهم من جديد ونصبوا أحمد بن علي من فرع نصر شيخا عليهم ، لكن الرزقي بن منصور الذي كان وفيا للحاج أحمد باي استطاع أن يلفق له تهمة الخيانة ومحاولة الانفصال عن الحكم المركزي ، لذلك استدعي إلى الجزائر العاصمة حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية مع أسرته ، بعد أن نفذ الرزقي بن منصور الشرط الأساسي من خطته الرامية على التخلص من شيوخ أسرة أحرار الحنانشة بدأ يسعى لتنفيذ الشرط الثاني من خطه وهي التخلص من شيوخ القبائل المجاورة له والمناوؤون له ، لتدعيم مركزه من جهة ولكي يُمتن علاقاته بالحاج احمد باي من جهة أخرى ، ولهذا قبض على شيخ عرش أولاد سيدي يحي بن طالب زيان بن يونس الذي كان في ثورة ضد باي قسنطينة منذ سنوات طويلة ، وسلمه إلى الحاج أحمد باي الذي كان في رحلة صيد بمداوروش ، فأرسل شيخ أولاد سيدي يحي بن طالب على الجزائر العاصمة حيث اعدم بمدفع من مدافع القصبية.

خلقت مساعدة الحاج أحمد باي للشيخ الرزقي بن منصور شعورا بالمهانة لدى أحرار الأسرة ، فلم يكن الشيخ الرزقي محبوبا لدى الحاناشة لكون والده مجرد كاتب للشيخ احمد بن عثمان ، وكان من الطبيعي أن يقع الصدام بينه وبين أسرة أحرار الحاناشة ،وتولى قيادة الحاناشة كاتب آخر شيوخ الأسرة الحاج مبارك وابني أخيه الحسناوي والبخاري ، وكانت المعركة الأولى بين الحاناشة بقيادة الحاج مبارك من جهة والرزقي المدعوم من طرف الحاج أحمد باي من جهة أخرى يوم 27 فيفري 1827 بجبل فرينة دون نتيجة حاسمة لأي من الطرفين ، ثم كانت المعركة الثانية جنوب جبل المحمل بخنشلة في شهر سبتمبر 1827 فقد في الحاناشة 38000 رأس من الغنم و 600 جمل و38 أسيرا أعدموا على الفور ،وقد شجع هذا الانتصار الشيخ الرزقي على معاودة الهجوم على الحاناشة فعبد يومين من هذه المعركة أغار الرزقي على الحاناشة وخسر الحاناشة مرة أخرى 1200 ثور و 1300 رأس من الغنم و18 أسيرا أعدموا ، وفي 21 سبتمبر 1828⁴⁴ وقعت معركة أخرى بين الحاناشةوالرزقي بن منصور خسر فيها الحاناشة أيضا 3000 ثور و 3200 رأسا من الغنم ، و 77 حصانا ، وأسر 52 منهم أعدموا وأرسلت رؤوسهم إلى قسنطينة حيث عرضت في ساحتها العامة .

كان هذا التصرف في تعيين الرزقي بن منصور قد أثار غضب كاتب الشيخ احمد بن علي المخلوع الحاج مبارك وابني اخيه الحسناوي والبخاري ، لذلك نشب صراع طويل بين هؤلاء والشيخ الرزقي المُعين من طرف احمد باي ،وبالرغم من أن الحسم العسكري في جميع المنازلات كان لصالح باي قسنطينة والرزقي ، إلا أن هذا الأخير أي الرزقي بقي مكروها لدى الحاناشة ، لكن الحملة الفرنسية وسقوط العاصمة سنة 1830 جعلت الحاج أحمد باي يسعى إلى توحيد الجبهة الداخلية لقسنطينة ، وكبقية القبائل شارك الحاناشة في الإعداد لمواجهة الإنزال الفرنسي ، وحسب روكات فإن صراعا وقع بين الحاج أحمد باي والحاج مبارك انتهى بهزيمة الأخير وإصابته بجرح بليغ ، وبما أن الحاج احمد باي لم يكن يمتلك القوات الكافية لتدعيم الرزقي فقد دبر مكيدة بتحريض من الرزقي إذ كتب إل شيوخ الحاناشة يعدهم بالأمان الكامل ودعاهم لزيارة معسكره بمرج كحيل بسدراتة لتدارس الوضع الجديد للعرش بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة وضرورة توحيد الجبهة الداخلية لقسنطينة .

استحسن الحاج مبارك الفكرة وتوجه رفقة أبني أخيه الحسناوي والبخاري وجمع من شبان الحاناشة على مخيم الحاج أحمد باي بعين سينور ، وهناك تم تقسيم المدعويين على

مجموعات وسط القوات التابعة للباي ودعي الجميع إلى تناول الغداء ، ما إن دخل الجميع الخيم حتى اعطيت إشارة بإسقاط جميع أوتاد الخيام في لحظة واحدة فوقعت على المدعويين من الحنانشة فكانوا " كالصيد داخل الشبكة " ، وهنا استخدمت قوات الباي كافة الأسلحة المتوفرة من سيوف وبنادق ومسدسات للحيلولة دون نجاة زعماء الحنانشة ، ولم يكن الحاج احمد باي راضيا على هذا العمل ففي الوقت الذي كانت فيه جنث 120 من شبان الحنانشة متناثرة فوق الأرض التفت إلى الرزقي قائلاً: " بينك وبين الله " ، في حين قبض على الحاج مبارك وابني أخيه الحسنوي والبخاري وسبق الجميع مقيدتين بالسلاسل إلى قسنطينة وبمجرد دخولها شئق طراد بن نصر وحمارة بن سلطان آخر زعماء الحنانشة قبيل الاحتلال وشئق أيضا الحاج مبارك وابن أخيه البخاري ، في حين ابقى على الحسنوي حيا ووضع في السجن فلماذا أبقى عليه الباي أحمد حيا ؟ .

كان الحاج احمد باي قد فهم عقلية الحنانشة جيدا الراضية إلى أي دخيل عليها لا ينحدر منها كالشيخ الرزقي وكان يعلم أن تعيين هذا الأخير عليها كان إجراء مؤقتا فقط، فقد عول على تعيين الشيخ الحسنوي إذا ما أبدى الرزقي معارضة له ، لكن الباحث شارل فيرو ذهب إلى القول بأن الحاج أحمد باي إنما أبقى على الحسنوي حيا لاستخدامه ضد الرزقي إذ ما أبدى ها الأخير معارضة له⁴⁵.

لكن الحسنوي تمكن من الفرار من سجنه بأن قفز من زنارته بالطابق الثاني من سجنه ولحسن حظه فقد وقع فوق كومة من الثلج ، في وقت كان فيه باب المدينة ما يزال مفتوحا ضاحية جبل سيدي احمد الزاوي والتجأ إلى الحامة حيث قام أحد المزارعين بإخفائه عن عيون الفرسان الذين أرسلهم الحاج احمد باي في طلبه ، ثم التجأ إلى زاوية سيدي سليمان المجدوب التي نصحه شيخها بالذهاب إلى أولاد لكحل الذين أرسلوه بدورهم إلى بني مزلين قرب قالمة عند الشيخ عمارة بن لعلی ومن هناك التجأ إلى النبايل ثم إلى أولاد بشيخ فأولاد مسعود ثم إلى سوق الأربعاء بتونس .

أحدثت نجاة الحسنوي حماسا كبيرا لدى الحنانشة الذين أعادوا توحيد صفوفهم من جديد إذ وجد الحسنوي في سوق الأربعاء ابنه وبعض الناجين من مكيدة عين سينور ، وتم الاتفاق إلى مهاجمة الرزقي الذي كان يسعى إلى إخضاع الحنانشة بالقوة والرغبة ، وكان هذا الأخير معززا بقوات الحاج أحمد باي فبعد ثمانية أيام من القتال العنيف ضد الحسنوي

اضطر هذا الأخير إلى الالتجاء إلى مدينة الكاف التونسية بعد أن استطاع تأليب قبائل أولاد مومن أولاد ضياء أولاد بشيخ وأولاد مسعود على الرزقي ، وقد مكن هذا الصراع الداخلي الجنرال ديزار (Duzer) من دخول عنابة سنة 1832 وأجبر الرزقي على الالتجاء إلى قسنطينة طالبا مساعدة الباي أحمد ، ولم يكن بوسع هذا الأخير أن يقدم له أية معونة ، وهو ما أثار حفيظة الرزقي الذي امتنع عن المساهمة في الدفاع عن قسنطينة خلال الحملة الثانية عليها سنة 1837.

الخاتمة :

ويتضح مما سبق أن علاقة قبيلة الحنانشة بالسلطة المركزية لم تتوطد إلا بعد سنة 1795 بفضل منصور بن الرزقي كاتب الشيخ عثمان بن إبراهيم ، وابنه الرزقي بن منصور حليف الحاج أحمد باي ، كما أن الصراع الذي شهدته القبيلة قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 لم يكن بين شيوخ الأسرة والسلطة المركزية وإنما كان بين كاتب الشيخ عثمان بن إبراهيم وهو منصور بن الرزقي وابنه الرزقي فيما بعد من جهة وكاتب آخر شيوخ الأسرة أحمد بن علي وهو الحاج مبارك وابني أخيه الحسناوي والبخاري من جهة أخرى ، وبالتالي فإن الحاج أحمد باي لم يكن يعتمد على الحنانشة كقبيلة قوي تدعم قوته وسلطته وإنما كان اعتماده أساسا على الرزقي بن منصور كشخص فقط ، وكان هذا الأخير مكروها لدى الحنانشة ولا يحظ بإجماعهم ، وقد أثر هذا على الحاج أحمد باي عند غزو الفرنسيين لقسنطينة سنة 1837، إذ كانت جبهته الداخلية ضعيفة وبالتالي خسر المعركة داخليا مع القبائل المناوئة لسلطته ، وخارجيا ضد جيش فرنسا .

الهوامش :

¹ من ذلك مثلا رسالة الأستاذة جميلة معاشي ، الأسر المحلية ببايالك الشرق الجزائري ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، (غير منشورة) معهد العلوم الإجتماعية ، جامعة منتوري قسنطينة 1990-1991 م ، رسالة الدكتور صالح فركوس ، احتلال ومقاومة ، نظام المكاتب العربية في عمالة قسنطينة 1844-1870 م ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، (غير منشورة) ، جامعة منتوري قسنطينة 2000-2001 م .

² ولد شارل فيرو سنة 1829 في نيس وتوفي في طنجة سنة 1888 ، دخل الجزائر سنة 1845 وعمره 16 عاما ، تعمق في دراسة العادات والتقليد العربية عين كترجم في الحكومة العمة للجزائر بين سنتي (1851- 1872) شارك في جميع الحملات التي جرت في عمالة قسنطينة وعلى بلاد القبائل ، عين قنصلا في طرابلس سنة 1878 ، واختير وزيرا فوق العادة في طنجة سنة 1884 ينظر : commissariat centenaire de l'Algérie ,commandant PEYRONNEL ,livre d'or des officiers des affaire indigènes 1830-1930, imprimerie algérienne 1930 , tome 1 , p 11.

³ يضرب المثل في التنازع والخصام بين الشيخين " الرزقي " و "الحسناوي " فيقال مثلا : تخاصم فلان وفلان وحدث بينهما ما حدث بين الرزقي والحسناوي .

⁴ إن البربر سكان شمال إفريقيا ينقسمون إلى قسمين :

البربر البتر : وينتمون إلى مادغيس البتر بن برين قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويتألف البربر البتر من شعوب كثيرة تجمعها أربعة أجدام وهي : أداسة (وإطونهم كلها في هوارة) ، بنولوا ، نفوسة ، ضريسة .

البربر البرانيس : وهؤلاء هم البربر المستقرون الذين ينزل معظمهم في المناطق الساحلية القريبة من البحر والأخرى الجبلية الممتدة عبر المغرب أما شعوبهم فاتفق النسابون على أنها منحصرة في سبعة وهي : أزاجا ، أوربة ، أوريفة ، كتامة ، مصمودة ، صنهاجة ، عجيسة ، أنظر: عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، الجزء الأول ، المكتبة الملكية ، الرباط 1388 هـ / 1968 م ، ص 298 – 301 .

⁵ إن بني سليم هم إحدى بطون بني هلال الذين ينتسبون إلى القبائل القيسية المضربة التي كانت تعيش في شمال الجزيرة العربية والتي تضم بني عامر وسليم وكلاب ونمير وفروعا كثيرة أخرى ، وقد عُرفت القبائل القيسية بالإسراع إلى الحروب والغارات لأسباب متعددة ، وهذه عادة اكتسبوها من طبيعة الحياة البدوية القاسية التي تعتمد على الصراع من أجل الماء والمرعى ، في أيام لم يكن فيها حكومات مركزية تنظم العلاقة بين القبائل وتمنع القوي من الإعتداء على الضعيف ، انظر سمي عبد الرزاق القطب ، انساب العرب ، ط 1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1968 ، ص 218 .

⁶ حسب بعض مصادر التاريخ الإسلامي أنه بعد فتح عمر بن العاص مصر سنة 19 ثم سار إلى الإسكندرية ففتحها سنة 21 هـ افتتح بلاد طرابلس سنة 22 هـ ، وعندما قتل عمر بن الخطاب سنة 23 هـ ولي عثمان بن عفان الخلافة ، فعزل عمر بن العاص عن مصر وولاهما عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وفي سنة 27 هـ أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري بفتح إفريقية وكان ضمن الجيش الإسلامي معد بن العباس بن عبد المطلب ، مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية والحارث بن الحكم أخوه عبد الله بن الزبير بن العوام ، والمسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وعبد الرحمان بن زيد بن الخطاب ، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عاصم بن عمرو ، عبد الله بن عمرو ، عبد الرحمان بن أبي بكر ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، بسر بن أرطاة بن عويمر العامري ، وابو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر ، وعلى هذا يكون عبد الله بن عمر بن الخطاب قد دخل بلاد المغرب سنة 27 هـ وقيل 28 وقيل 29 وهو القول الذي تمسك به أحرار الحنانشة ، أنظر : ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، ص 8 ، البلاذري فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت 1957 ، ص 309 .

⁷ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، 1930 ، مج 6 ، ص 405 .

⁸ جميلة معاشي ، الأسر المحلية الحاكمة ببايالك الشرق الجزائري ، ص 28 .

⁹ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 142 .

¹⁰ الكعك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 2003 ، ص 299 .

¹¹ محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ، جامعة تونس الأولى ، أوريس للطباعة ، تونس 1999 ، ص 209 .

¹² محمد العربي عقون ، حملة يوليوس قيصر على إفريقيا 46 م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، (غير منشورة) ، جامعة منتوري ، قسنطينة 1996 ، ص 18 .

¹³ينتسب رياح حسب بعض المصادر إلى رياح بن الأشل وهو من بني هلال بن عبيد بن سعد بن كعب بن مالك بن جلان بن غنم بن عمرو وه عني ، وابن اخيه شأس بن زهير بن جذمة العبسي ، وقد قيل أن رياح بن الأشل هو قاتل شاس ، وأنه من ولد رفاعة بن عبيد أخي هلال بن عبيد ، وعلي بن الغدير بن مضر بن قيس بن حجان بن مطعم بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب ، أنظر: ابن حزم الأندلسي ، جهرة أنساب العرب ، ط 4 دار الكتب العلمية ، بيروت 2007 ، ص 247.

¹⁴أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1971 ص 299 .

¹⁵مصطفى أبو ضيف و احمد عمر ، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 ، ص 59 ، 60 ، 61.

¹⁶FEREAUD (Ch) , les Harars des Hanenchas , Revue . Africaine , N ° 18,1874 , p 123 .

¹⁷هو مرداس بن خويلد بن واقد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب ، وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم سرحان بن متعب بن الأجب بن الغوث بن العتريف بن سعد بن عوف بن كعب ، أنظر: ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق ، ص 248 .

¹⁸أحمد الحمروني ، الشمال الغربي التونسي ، فصول ومراجع ، ط 1 ، دار سحر للنشر ، تونس ، 2006 ، ص 150 .

¹⁹وضع المترجم شارل فيرو شجرة نسب لأسرة أحرار الحنانشة تنتهي إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنظر:

FEREAUD (Ch) , op Cit, pp 394 - 396 .

²⁰العدواني ، كتاب العدواني ، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص 203 .

²¹ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ط 5 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1985 ، مج 4 ، ص 160 ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزاهري ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة ، د ط ، دت ، ص 81 .

²²ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج 7 ، مكتبة الإيمان ، المنصورة د . م . ن ، د ت ، ص 149 . ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مج 2 ، ط 1 ، دار صادر ، بيروت 2003 ، ص 760 ، 761 .

²³ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، مج 1 ، ص 226 .

²⁴اشتهرت قلعة سنان محرفة إلى قلعة الصنم أو الأصنام ، وكانت تسمى قلعة السكة ، تتميز بمائدة يوغرطة ذلك الجبل الذي تحصن به وكانت به قلعة بيزنطية عظيمة وجميلة ، كما كانت سوقها نافقة خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حسب البكري ، تحصن بها أبا حفص عمرا فارا من كارثة مرماجنة سنة 683 هـ / 1284 م ، ومنها انطلقت ثورته التي أطاحت بابن أبي عمارة ورفعته على العرش متلقيا بالمستنصر بالله بها زاوية سيدي عساكر جد السنوسيين أنظر: أحمد الحمروني ، وطن الكاف مدائن ومعالم وأعلام ووثائق ، ط 1 ، دار سحر للنشر ، 2007 ، ص 169 .

²⁵ROUQUETTE (P) , Monographie de la Commune mixte de Souk Ahras , bulletin de la société géographie de l'Algérie et de l' Afrique du nord , 1^{er} trimestre année 1904 , p 172 .

²⁶الشابية نسبة إلى مدينة شابة بالبلاء الخفيفة جبل بنجد وقيل بالحجاز . قال القتال الكلابي :

تركت ابن هبارلدى الباب مندا وأصبح دوني شابة فأرومها

بسيف امرئ لا أخبر الناس ما اسمه وإن حقرت نفسي إلي همومها

ينظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ، ط 1 ، مطبعة السعادة ، مصر 1906 ، مج 5 ، ص 206 .

²⁷محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 210 .

²⁸قفة القشاعي ، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 1989 – 1990 ، ص 34 .

²⁹جميلة معاشي ، الأمر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري ، ص 34 .

³⁰TEMIMI(A) , Le beylik de Constantine et hadj Ahmed Bey ,vol 1, publication de la revue d'histoire magrébine , Tunis 1978, p 50 .

³¹إن لفظ الزمول مشتق من الزمالة ويعني في بايلك قسنطينة قوة من الفرسان مشكلة من قبائل المخزن وكانت هذه القوة مرهوبة الجانب ، تعمل تحت إدارة الباي ، وظيفتها محاربة الخارجين عن سلطة الباي ، وقد حرص بايات قسنطينة على تنظيمها فقد كان على كل خمسين فارسا قائد يلقب بالشاوش ، وكان الحاج أحمد باي يعين على كل خمسمائة من الفرسان ما بين 10 و 15 شاوش ، أنظر: VAYSETTES (E) , Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à de Hadj Ahmed , édition grand Alger livres , 2005 , p 32 .

³²أحمد سيساوي ، النظام الإداري لببايلك الشرق الجزائري (1791 – 1830) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، (غير منشورة) ، جامعة قسنطينة 1988 ، ص ص 125 ، 126 .

³³كانت جباية هذه الضرائب تتم عن طريق المحلات ، وكانت المهمة الأولى للجيش جباية الضرائب ، ففي كل سنة تنطلق محلات مكونة من طواير عسكرية مهمتها جمع الضرائب من ببايلكات الأيالة الجزائرية ، ويبدأ خروج المحلات في شهر أفريل من كل عام وتستمر لمدة أربعة شهور بالنسبة إلى الأقسام الغربية والجنوبية من الأيالة وستة شهور بالنسبة للقسم الشرقي ، وكان الدور الذي تلعبه المحلات مهما جدا لكنه تعرض للتغيير في أواخر القرن الثامن عشر ، أنظر: عقيل نمير ، النظام العسكري للجزائر في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق العددان 103 ، 104 سبتمبر – ديسمبر 2008 ، ص 137 .

³⁴ناصر الدين سعيدوني ، مذكرة حول إقليم قسنطينة ، الأضالة ، عدد 70 ، 71 ، جوان – جويلية 1979 ، ص ص 11 ، 12 .

³⁵محمد الأمين بلغيث ، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، د . م . ن ، 2006 ، ص ص 138 ، 139 .

³⁶محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، ط 2 ، مكتبة دار الشروق بيروت 1979 ، ص 127 .

³⁷أحمد بن المبارك بن العطار ، تاريخ قسنطينة ، تحقيق رايح بونار ، د ط ، د م ن ، ص ص 56 ، 57 .

³⁸جميلة معاشي ، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، (غير منشورة) ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، 2007 – 2008 ، ص 100 .

⁴⁰هي جان دارك (1412 – 1431) مناضلة فرنسية قاتلت من اجل حرية بلادها في القرن الخامس عشر الميلادي ، ارتقت على مصاف البطلة الشعبية والقدسية نظرا لشجاعته و اكتسابها رمز الوحدة الوطنية لدى الفرنسيين ن كانت في سن المراهقة ندما بدأت أحاسيسها الوطنية تنضج في جو من انقسام الشعب الفرنسي وهو يجابه حربا ضد انجلترا ، وفي غمرة المشاعر الوطنية الفياضة قادت الجيوش الفرنسية في الثامن من ماي 1429 ل فك حصار الجيش الانجليزي عن مدينة أورليانز الفرنسية ، ولكنه وقعت في العام 1430 في اسر قوات دوقية بورغندي الذين باعوها للانجليز وواجهت محاكمة صورية انتهت بإعدامها حرقا عام ، وفي عام 1919 قررت الحكومة الفرنسية اعتبار يوم الثامن من ماي عيدا قوميا لذكرى جان دارك أنظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون موسوعة السياسة ، ط 1 ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 ، مج 2 ، ص 21 .

⁴¹الحسين بن محمد الورتلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1974 ، ص ص 126 ، 127 .

⁴²ROUQUETTE (P) , Op Cite,, p 177.

⁴³ جميلة معاشي ، الأمر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري ، ص 268 .

⁴⁴ محمد بن عبد الكريم ، من أعلام الجزائر حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته ، ط 1 ، دار الثقافة ، بيروت 1972 ، ص 55 .

⁴⁵ FIREAU (Ch),Op Cite , p 369